أهمية تواصل الشعوب في اكتساب اللغة العربية

اعداد: د. قريب الله بابكر م

Abstract

Kata-kata kunci: Pemerolehan bahasa, hubungan, bangsa

Pembelajaran bahasa Arab dapat dijadikan sebagai media untuk menjalin hubungan antara satu negara dengan negara lain, terutama negara yang mayoritas penduduknya muslim. Hal in dikarenakan kedudukan bahasa Arab sebagai Bahasa kitab suci umat Islam yaitu al-Qur'an agama. Karena itu tidak heran jika hubungan antara beberapa negara yang mayoritas penduduknya bergama Islam mempunyai hubungan yang kuat dan berkomunkasi dengan bahasa Arab.

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين الذي أنزل كتابه الكريم بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، سيدنا محمد بن عبد الله إمام المرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إن من فضل الله على الناس أن بعث فيهم رسوله صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل لهداية الناس كافة قال تعالى : وَما أَرْسَلْناكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ))[1] وصدق الله تبارك وتعالى فكثير من الناس من اليهود ومن النصارى وغيرهم من الذين لا دين لهم يظنون أن النبيّ صلى الله عليه وسلم بعث إلى العرب وحدهم وهم بهذا الظن الخاطئ ظلموا أنفسهم بعدم الإيمان، وصدوا غيرهم بغير برهان.

وقد مرعلى بعثة النبي صلى الله عليه وسلم مايزيد على أربعة عشر قرناً، ورسالته تجوب أنحاء الأرض شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وهذا دليل واضح على أنه صلى الله عليه وسلم أرسل للناس كافة، لأنه خاتم الأنبياء والرسل أجمعين. قال تعالى : مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا))[2] ورسول الله صلى الله عليه وسلم عربي من قريش، وقبيلة قريش من أفصح العرب، لذلك نزل القرآن الكريم باللسان العربي، وهو معجز بلفظه ومعناه، فما استطاع فصحاء العرب أن يأتوا بسورة من مثله، مع أنه أنزل بلسانهم.

ومن المعلوم أن كل رسول يبعث إلى قوم يخاطبهم بلغتهم. قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[3] ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الناس جميعاً فكان لزاماً عليهم اكتساب اللغة العربية حتى يعرفوا معالم دينهم الحنيف.

وبهذا المفهوم انتشرت اللغة العربية في بلاد آسيا وإفريقيا وأوروبا في القرون الأولى للدعوة الإسلامية، وذلك نتيجة لاختلاط المسلمين العرب مع تلك الشعوب، فدخل الناس في دين الله أفواجاً، وكثير من الشعوب تركت لغاتها المحلية وأصبحت اللغة العربية هي اللغة الأم بالنسبة لهم إلى يومنا هذا.

وفي هذا المقال –إن شاء الله تعالى- سأطرح موضوع أهمية تواصل الشعوب في اكتساب اللغة العربية وهو يتضمن ثلاثة محاور وهي :

الأول : مكانة اللغة العربية بين الشعوب

الثاني : أهمية تواصل الشعوب

الثالث : اكتساب اللغة العربية

ثم خاتمة المقال والهوامش وقائمة المصادر والمراجع

مكانة اللغة العربية بين الشعوب

إذا نظرنا إلى اللغة العربية قبل الإسلام نجدها منحصرة في شبه الجزيرة العربية، ثم إنها تضم لهجات مختلفة ولغات متعددة، أفصحها لغة قبيلة قريش؛ لما كان لها من السيادة في الحرم المكي، والموقع الاستراتيجي بالنسبة لحركة التجارة.

فنزل القرآن الكريم وبه توحدت اللهجات العربية، وأضاف إلى اللغة كثيراً من المعاني والمفردات، وبهذا خرجت اللغة العربية من القومية العربية الضيقة إلى العالمية لأن الله تعالى أنزل هذا القرآن لهداية الناس جميعاً وليس للعرب وحدهم. قال تعالى :

فرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم شملت رسالته جمع الإنس والجن والدليل على ذلك ماورد في سورة الجن في قوله تعالى : ((

وفي هذه الآية الكريمة دليل على فهم الجن للغة العربية فلو لم يفهموا اللغة العربية لما فهموا القرآن وما فيه من الهدى والرشاد.

ومن هذا المنطلق فإن للغة العربية مكانة عظيمة بين الشعوب الإسلامية خاصة وبين شعوب العالم كافة. وتكلم العلماء عن حكم تعلم اللغة العربية بالنسبة للشعوب المسلمة من غير العرب، وأقتطف بعض كلام صالح بن حسين العايد عن حكم تعلم اللغة العربية حيث يقول : ((إن بعض الشعائر التعبدية يجب أن تكون باللغة العربية، كالتشهد وقراءة القرآن،

لذلك يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم من العربية ما يستطيع به القيام بهذا الشعائر)) [٦] ويضاف إلى ذلك التلبية في الحج والعمرة، وعقد نية النسك فلا بد أن يقول لبيك اللهم حجاً أو لبيك اللهم عمرة حسب مايريد من النسك، كذلك التكبيروالتهليل والتسبيح والتحميد والاستغفار – وجميع الأذكار والعبارات القولية، فهذا كله في حكم الواجب الذي لاتصح العبادات إلا به، ولذلك أعظم مشهد رهيب هو يوم عرفة حين ترى الملايين من الناس من شتى أنحاء الأرض وهم على اختلاف ألسنتهم ولغاتهم يرفعون أصواتهم بنداء واحد باللغة العربية ألا وهو التلبية (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك).

ثم أورد صالح العايد قول الإمام الشافعي رحمه الله في ذلك حيث قال : ((... على كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير، وأمربه من التسبيح والتشهد وغير ذلك، وما ازداد من العلم باللسان الذى جعله الله لسان من ختم به نبوته، وأنزل به آخر كتبه كان خيراً له)) [٧]

أما لما سوى ذلك فتعلم اللغة العربية من عامة المسلمين مستحب، على القول الصحيح؛ ((لأنها اللغة التى أنزل الله بها كتابه، وخاطب بها في شرائع دينه، وفرائض ملته، وبها بلغ رسوله صلى الله عليه وسلم، وعلم سنته)) [٨]

ولأن اللغة العربية شعار الإسلام، ولغة القرآن، ولغة النبي صلى الله عليه وسلم حث العلماء على تعلمها)) [٩] وبهذا وجب على كل مسلم أن يتعلم من اللغة العربية ما تصح به عباداته، وهذا ماجعل اللغة العربية تنتشر في العالم بانتشار الإسلام للمكانة التى حباها بها المولى عزّ وجلّ، وقد ذكر ذلك محمود عكاشة في قوله : ((ونرى أن الميزة التى اختص الله تعالى بها العربية أن جعلها لغة كتابه العظيم، لما تتمتع به من أساليب متعددة وغزارة ألفاظها واتساع دلالتها وإيجازها. وهذا فضل مابعده ولا قبله. فليست للعربية ميزة على سائر اللغات إلا بهذا الفضل، لأن الله تعالى قد أنزل الكتب السابقة بلسان من أنزلت إليهم، قال تعالى :

((

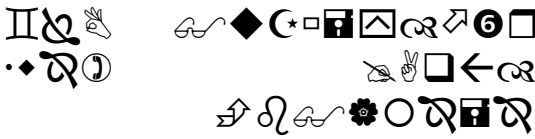

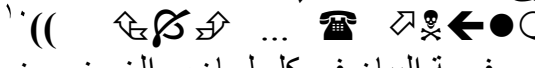

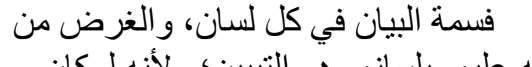

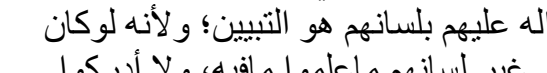

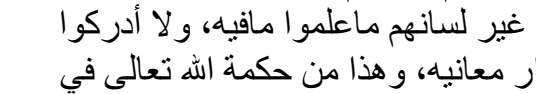

)) [١٠]

فسمة البيان في كل لسان، والغرض من إنزاله عليهم بلسانهم هو التبيين؛ ولأنه لوكان على غير لسانهم ماعلموا مافيه، ولا أدركوا أسرار معانيه، وهذا من حكمة الله تعالى في خلقه ورحمته بهم)) [١١].

ولكن أقول إضافة إلى تعدد أساليب اللغة العربية وغزارة ألفاظها واتساع دلالتها وإيجازها، إن الله تعالى اختارها لكتابه الخاتم ولرسوله الخاتم الذى أرسله للناس كافة فأصبحت لغة الدين الذى يجب على كل الناس اتباعه، وفي ذلك يقول كمال بشر : ((اصطحب الإسلام منذ ظهوره وسطوع نوره لغة دستوره وجامع مبادئه وأصوله (القرآن الكريم) في كل مسيراته واتجاهاته، فجاوز بها حدودها الأصلية الضيقة في شبه الجزيرة وانطلقا معاً بخطى ثابته إلى كثير من الأصقاع والبقاع، واستقرا بها استقرارا (المواطنة) بكل معانيها)) [١٢].

ولهذا نرى الشعوب الإسلامية من غير العرب في مشارق الأرض ومغاربها يتشوقون إلى النطق بلغة القرآن الكريم، ويتوقون إلى جعل اللغة العربية لغة للتعامل والتواصل بينهم وبين إخوانهم المسلمين العرب، لأجل هذا يبذلون جهوداً مقدرة في تعليم اللغة العربية في المدارس والمعاهد والجامعات.

والمعاهد الدينية لها الدور الفعال في تعليم اللغة العربية والعلوم الشرعية في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وهي التى وضعت

اللبنات الأساسية ثم جاءت الجامعات الإسلامية لتكمل المشوار المبارك.

ولاشك في أن تعليم اللغة العربية والتكلم بها شرف لا يدانيه شرف في تعليم أي لغة أخرى؛ ذلك لأن المتعلم باللغة العربية الفصحى هو متبع لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، ومتبع لسنة أصحابه الكرام عليهم من الله سحائب الرحمة الرضوان.

هذا عن مكانتها بين الشعوب الإسلامية، أما الشعوب غير المسلمة المنتشرة في شتى أنحاء الأرض، فأظهروا اهتماماً كبيراً باللغة العربية باعتبار الموقع الاستراتيجي للدول العربية، وللإرث الثقافي الممتد عبر القرون.

أطلت على العالم العربي ظاهرة الاستشراق التى تدل على مدى اهتمام تلك الشعوب باللغة العربية ومعرفة ثقافة الشعب العربي، وأصبحت أقسام تعليم اللغة العربية تنتشر في معظم كليات الآداب في جامعات العالم، واللغة العربية تعتبر من اللغات الرسمية المعتمدة لدى الأمم المتحدة؛ وذلك لكثرة الأعضاء من الدول الناطقة باللغة العربية.

فأصدرت الجمعية العالمية للأمم المتحدة قرارها رقم 3190 (د - 28) الجلسة العامة رقم 2206 في ديسمبر 1973م وينص على مايلى :

"تقرر إدخال اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية ولغات العمل المقررة في الجمعية العامة ولجانها الرئيسية، والقيام بناء عليه بتعديل أحكام النظام الداخلى للجمعية العامة المتصلة بالموضوع)).

وقد بينت الجمعية العامة سبب هذا القرار في النقاط الآتية :

١ -لدور اللغة العربية المهم في حفظ ونشر حضارة الإنسان وثقافته.

٢ -اللغة العربية هي لغة تسعة عشر عضواً من أعضاء الأمم المتحدة.

٣ - اللغة العربية هي لغة عمل مقررة في وكالات متخصصة.

٤ -ضرورة تحقيق تعاون دولي أوسع نطاقاً، وتعزيز الوئام في أعمال الأمم [١٣].

أهمية تواصل الشعوب

إن المهمة الأولى للغة هي الاتصال بين الناس؛ ولذلك فإن هذه الصفة تلازم اللغة في تعريفها، ومن تلك التعريفات ((اللغة مجموعة من الرموز الصوتية التى يحكمها نظام معيّن، والتى يتعارف أفراد مجتمع ذي ثقافة معينة على دلالتها؛ من أجل تحقيق الاتصال بين بعضهم وبعض [١٤])).

فاللغة هي وسيلة الاتصال، وتواصل الشعوب المسلمة يعمل على نشر اللغة العربية بينهم، ولذلك يأتى الاهتمام بمهارة الكلام والمحادثة باللغة العربية في المرتبة الأولى، لأن التواصل يقتضى وجود لغة مشتركة تسهل التفاهم بين الشعوب.

وفي ذلك ورد في السجل العلمي عن الاهتمام بمهارة الكلام مايأتى : ((إن مهارة الكلام لايمكن تجاهلها أو نسيانها عند إعدادنا لمنهج تعليم اللغة، فإن لم يكن للكلام الصدارة فإننا نحفر في الماء، وننفخ في قربة مخرومة، والاهتمام بتدريس مهارة المحادثة من الأمور المهمة والمستحدثة في عملية تعليم اللغة العربية.

والكلام أهم مظهر يمكن أن يقيس الناس به فهم الدارس للغة الأجنبية المستهدفة، وعندما يقال إن شخصاً ما يعرف لغة ما، فأول ما يتبادر إلى الذهن أنه يتكلم هذه اللغة جيداً.

إن ثمة افتراض تنطلق منه هذه الحقيقة ذلك هو : لو أن فرداً درس لغة ما دراسة جيدة فإنه يصبح قادراً على الاتصال بمتحدثيها والتفاهم معهم [١٥]))

ولكن للأسف الشديد في زماننا هذا أصبحت الحدود السياسية بين الدول الإسلامية تقف حاجزاً منيعاً للتواصل بين الشعوب مع أن المؤمنين إخوة وهذه الأخُوّة فرضها الله تعالى علينا، وهي تفوق أخوّة النسب فقال تعالى :

))[16] فهذه الأخوة تقتضى التواصل بين الشعوب المسلمة؛ وذلك لنشر اللغة العربية والعلوم الدينية، وهذا واجب الأخ نحو أخيه.

وهناك أسس لنشر اللغة العربية في العالم الإسلامي المعاصر ومن ذلك :

١ -إيفاد هيئات التدريس لنشر اللغة العربية في العالم الإسلامي من البلاد العربية التى تتعامل مع اللغة العربية منهجاً وسلوكاً وحديثاً وكتابةً.

٢ -وجوب تعليم اللغة العربية ابتداء من المراحل التعليمية الأولى وجعل اللغة العربية -لا أقول لغة أولى فإن هذا متعذر عملياً بالنسبة لواقع العالم الإسلامي الآن، فإن لكل شعب لغته القومية ومن الصعب التنازل عن هذه اللغة المحلية بصعوبة- وإنما أقول لغة ثانية.

٣ -ترجمة العلوم الحديثة إلى اللغة العربية وتدريسها باللغة العربية.

٤ -استغلال وسائل الإذاعة و التلفزيون في نشر اللغة العربية بواسطة برامج مخصصة لتعليمها عن طريق العرض الحسن ومن خلال النصوص القرآنية، والأحاديث الشريفة، والنصوص الأدبية.

٥ -وضع دروس مبرمجة على أشرطة تسجيلية ونشرها.

٦ -إيفاد مجموعات من الطلاب من أنحاء الوطن الإسلامي إلى البلاد العربية ليدرسوا في المعاهد والجامعات.

٧ -الإكثار من المدارس التى تعنى عناية خاصة باللغة العربية وتعليمها على أساس مناهج مدروسة.

٨ -تأليف كتب تعليمية تحتوي على دروس متدرجة.

٩ -الإكثار من إنشاء المساجد لتقوم بدورها في نشر الثقافة الإسلامية.

١٠ -فتح الحدود بين الدول الإسلامية بدون قيود، وقد فعلت ذلك دول أوروبا لإيمانها بوحدة الهدف السياسي والاقتصادي والاجتماعي.[17]

فهذه الأسس تمثل الركائز التى تقوم عليها عملية تعليم اللغة العربية، والذي يساعد على ذلك رغبة الشعوب المسلمة من غير العرب في تعلم اللغة العربية، ويمكن مناقشة الأسس السابقة على النحو الآتى :

أولاً : إيفاد هيئات التدريس.

يعتبر إيجاد البيئة اللغوية من أهم مقومات عملية تعلم اللغة العربية، فإيفاد المدرسين من البلاد العربية يسهم إسهاماً فعالاً في نشر اللغة العربية في المجتمع، ولا ينحصر ذلك في الفصول الدراسية فحسب بل بين جميع فئات المجتمع؛ وذلك للتواصل الفعال الذى يحدث لهم مع المجتمع؛ ولذلك يشترط فيهم التعامل مع اللغة العربية منهجاً وسلوكاً وحديثاً لأنهم سفراء الدول العربية إلى غير العرب، ويجب عليهم الاهتمام باللغة العربية الفصحى والتعامل بها في كل أحوالهم؛ لأن كل ما يصدر منهم يحسب على اللغة العربية، ويظن المستمع لهم أنه لفظ عربي فصيح.

ثانياً : تعليم اللغة العربية من المراحل الأولى

هذا يأتى من منطلق أن التعليم في الصغر كالنقش في الحجر؛ لأن فيه ثبات المعلومات في ذهن التلميذ، ولكن المشكلة تكمن في حصر تعلم اللغة العربية داخل الفصول فقط، وعدم ممارسة النشاطات اللغوية المختلفة، وعدم التعامل باللغة في الحياة اليومية، فسرعان ما ينسى التلميذ ما تعلمه في الفصل،

ومن المعلوم أن حفظ المفردات ومعرفة التراكيب لايجعل الدارس يستعمل اللغة في حوار حر أو اتصال بالآخرين مالم يمارس الدارس نشاطاً لغوياً يجعله يتفاعل مع اللغة حتى يصبح يفكر بتلك اللغة.

ثالثاً : ترجمة العلوم الحديثة إلى اللغة العربية

حركة الترجمة تجعل العلوم ميسرة للدارس، واللغة العربية غنية بمفرداتها فبالاستطاعة ترجمة العلوم التقنية إلى اللغة العربية فيستفيد الدارسون من غير العرب من ذلك في تقوية لغتهم العربية، ويشعرون بأنهم استفادوا من تعلمهم للغة العربية عند دراسة العلوم التقنية الحديثة باللغة العربية، ويكون في ذلك تحفيز لاكتساب اللغة العربية.

رابعاً : استغلال وسائل الإعلام في نشر اللغة العربية .

وسائل الإعلام لها دور فعال – في عالمنا اليوم – في نشر الثقافات واللغات، خصوصاً أنها لاتعرف الحدود والموانع التى صنعتها السياسية، وأنها تعبر أبعد المسافات وتصل إلى أصقاع الأرض المختلفة، وهنا لابد من تقديم الموضوعات المشوقة السهلة الواضحة حتى ينجذب السامع أو المشاهد إلى متابعة مايقدم على وسائل الإعلام، وأخيراً ظهر التواصل على الشبكة الدولية (الإنترنيت) وبه أصبحت تعقد الصداقة بين أهل مشارق الأرض مع أهل مغاربها، فيمكن الاستفادة من ذلك في نشر اللغة العربية كذلك.

خامساً : الدروس المبرمجة على أشرطة تسجيلية

تسجيل الدروس على أشرطة يعتبر من وسائل التعليم النافعة خصوصاً لو تم التسجيل من الناطقين باللغة حتى يرتبط الدارس بالناطق الأصلي، ويستطيع أن يكرر الاستماع متى شاء، وفي أي مكان، فيمكن حملها في حقيبته، وفي عصرنا الحاضر ظهرت أحدث أجهزة التسجيل الصوتي مثل الحاسوب والهواتف المحمولة وغير ذلك، فيمكن توجيه ذلك لنشر اللغة العربية فيأتى بنتائج مرضية.

سادساً : إيفاد الطلاب إلى البلاد العربية

كثير من الدول العربية الغنية تفتح مجال البعثات المجانية للطلاب من غير العرب للدراسة في البلاد العربية، وهذا يسهم إسهاماً فعالاً في سهولة تعلم الطلاب اللغة العربية لأنهم يجدون أنفسهم في داخل البيئة اللغوية العربية فيتقنون اللغة كلاماً وفهماً وقراءةً وكتابةً، وعند عودتهم إلى بلادهم تظهرمهاراتهم مثل الناطقين الأصليين بل يتفوقون عليهم بشيء ألا وهو معرفتهم للغة أهلهم، وبهذا يستطيعون نشر اللغة العربية بسهولة في مجتمعهم وهذا يعتبر من صميم التواصل بين الشعوب.

سابعاً : الإكثار من مدارس اللغة العربية

شاع في هذا العصر التعليم عبر مدارس اللغات وانتشرت مدارس اللغات الأجنبية حتى في البلاد العربية والإسلامية، وفي مقابل هذا ينبغى على العرب والمسلمين الاجتهاد في إنشاء مدارس متخصصة باللغة العربية تقوم بتدريس مناهج معدّ ه من قبل المختصين وترغيب الدارسين من غير العرب في تلك المدارس، وذلك بإعطاء المتفوقين منح دراسية مجانية في البلاد العربية، وبهذا تتكامل العملية التعليمة، وتصل إلى أهدافها المنشودة.

ثامناً : تأليف الكتب التعليمية

الكتب التعليمية التى تحتوى على دروس متدرجة تعين الدارس على أن يخطو خطوات ثابتة نحو تلقي اللغة العربية، و مراكز تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها تهتم بهذا الجانب، وهذه الكتب تربط الدارس بالفكر العربي وثقافته، وتجعله كأنه يعيش في البيئة العربية من أجل الموضوعات التى يحويها المقرر الدراسي.

تاسعاً : الإكثار من إنشاء المساجد

المسجد هو دار التعليم الأولى، وأول ما بدأ به النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة هو بناء المسجد، ومازالت المساجد إلى يومنا هذا في كثير من البلاد الإسلامية تقوم بدورها في تعليم القرآن والسنة النبوية وعلم

الفقه والعقيدة، وعلم اللغة العربية سواء أكانت في بلاد عربية أم في غيرها؛ لذلك انتشارها يعنى انتشار هذه العلوم، وانتشار الإسلام علماً وعملاً.

عاشراً : فتح الحدود بين الدول الإسلامية

أول ما فكر أعداء الإسلام في تفكيك هذه الأمة اخترعوا وضع هذه الحدود السياسية بين الدول الإسلامية في فترة الاستعمار الغربي للبلاد الإسلامية، لأنهم يعلمون جيداً أن التواصل بين الشعوب يجعل لهم قوة سياسية واقتصادية واجتماعية، وعندما كان المسلمون أمة واحدة ودولة واحدة كانوا قادة العالم وسادة الدنيا، ومن الغريب في الأمر نجد دول أوروبا تفتح الحدود فيما بينها وتجعل عملتها النقدية موحدة، ونحن في العالم الإسلامي مازلنا متفرقين، ومن السهل أن تسافر إلى بلد غير مسلم، أما إذا أردت أن تسافر إلى بلد مسلم أخر فسوف تجد القيود و الضوابط التى تجعلك تزهد في السفر وتعجز عنه، فينبغى للدول الإسلامية أن تتنبه لذلك وتضعه في عين الاعتبار.

اكتساب اللغة العربية

اصطلاح (اكتساب اللغة) ارتبط بالصغار، أما تعلم اللغة فارتبط بالكبار مع أن الاكتساب يمكن أن يكون عند الكبار أيضاً وربما كان أقوى بسبب اكتمال جهاز النطق والعقل عند الكبار.

وقد أشار إلى ذلك رشدى طعيمة بقوله : تعلم اللغة مصطلح يشير إلى العملية الواعية التى يقوم بها الفرد عند تعلم اللغة الثانية، وعلى وجه التفصيل، الوعي بقواعد اللغة ومفرداتها، والقدرة على التحدث عندها. ومن الأوصاف الأخرى التى تطلق على هذه العملية التعلم الرسمي، او التعلم الصريح.

ويرى بعض الخبراء أن اكتساب اللغة عملية خاصة بالأطفال، وأن تعلمها عملية خاصة بالكبار. وأنهم إلى حد كبير يلتقطون اللغة أي يكتسبونها، فهذه لاتختفى مع النضج[١٨]. وهذا العبارة الأخيرة " هذه لاتختفى مع النضج" أى عملية اكتساب اللغة، هي عين الحقيقة، وذلك لأننا إذا نظرنا إلى انتشار اللغة العربية في إفريقيا وبعض دول آسيا المجاورة للجزيرة العربية نجد أن اللغة العربية انتشرت في تلك الدول عن طريق الهجرات العربية والتداخل التجاري، فأصبح لسانهم عربي، وهكذا تناقلت اللغة عبر الأجيال.

واكتساب اللغة أسهل من تعلمها، لأن السامع يلتقط الألفاظ ممن حوله ثم يستعملها للاتصال بمن يريد، وكم من متعلم يحفظ كمّاً هائلاً من المفردات، ويحفظ القواعد والتراكب ولكن لايستطيع أن يعبر عن معنى من المعانى، وفي المقابل نجد أناساً أميين عاشوا في بيئة لغوية معينة فاكتسبوا اللغة الثانية، وأصبحوا يتحدثون بها وكأنها لغتهم الأم.

ولذلك يجب علينا في نشر اللغة العربية أن نجعلها تكتسب وتتعلم معاً وبهذا نكون جمعنا بين الطلاقة ومعرفة القواعد وأساليب البلاغة وغير ذلك.

ويزيد رشدى طعيمة في الإيضاح عن اكتساب اللغة قائلاً : ويقصد باكتساب اللغة العملية اللاشعورية التى تتم من غير قصد من الإنسان، والتى تنمى عنده مهارات اللغة. وهو وإن كان غير واع بهذه العملية اللاشعورية فهو واع بأنه يستخدم اللغة باعتبارها وسيلة للاتصال. وهذه العملية تشبه -إن لم تماثل- عملية تنمية القدرة عند الأطفال على تعلم لغتهم الأولى.

الطفل كما نعلم لايشغل نفسه بفهم القاعدة النحوية عندما يستمع إلى جملة من أبيه أو أمه. لايقف برهة ليحفظ بعض الكلمات ليرتبها بعد ذلك في تراكيب.

إن لديه حساسية اكتسبها من المحيطين به تجعله يرفض بعض التعبيرات ويقبل الأخرى، ويؤثر كلمة على كلمة، و ذلك في ضوء ما ألفته أذنه وما تجرى به ألسنة الآخرين.

ومن الأوصاف التى تصف لنا اكتساب اللغة عبارات مثل التعلم الضمنى، والتعلم غير الرسمي، والتعلم الطبيعي، فاكتساب اللغة يعنى التقاط اللغة في مواقف طبيعية وشكل لا إرادي من المتعلم [١٩].

ومن أجل أن يتم هذا الاكتساب للغة فلابد من مجتمع يمد هذا الفرد بالكلمات والعبارات المناسبة للموقف المناسب فينشأ الاتصال بين الفرد وذلك المجتمع اللغوي وإلى ذلك أشار كمال بشر في قوله : لايكتسب الإنسان لغته من فراغ، بل لابد له من العيش في مجتمع لغوي يتبادل معه الأخذ والعطاء عن طريق السماع و الإسماع. يسمع الإنسان قصداً أوعفواً– من الجو الذي يلفه، ويتكرر السماع، فتنطبع آثار المسموع في الذهن. وتصبح مؤهلة للتوليد منها، وإنما يكون ذلك بتفعيل جهاز النطق، فيتكلم على منوال ما سمع، بصورة أو بأخرى، حتى يمرن لسانه ويصبح بالتدرج على كفاية ملحوظة في التوليد من مخزونه وأدائه نطقاً على وفق مايجرى في مجتمعه الصغير أو الكبير على حد السواء.

العامل الأساسي في اكتساب اللغة عندنا يعتمد على مبدأ مهم أوجزناه في عبارتنا " اسمَع وأسمِع". قد يحدث تجاوز في الأداء أو خلط في استثمار مخزونه، فيأتى دور التوجيه والإرشاد أو التصحيح من جانب المتكلم نفسه أو ممن حوله من الأهل والرفاق أو من أهل الصنعة في دور التعليم.

فالقضية في الأساس قضية تدريب و مرانة، شأن مكتسب اللغة في ذلك شأن الصبي[٢٠] في "الورشة" [٢١] إنه لا يتلقى في دروساً نظرية في تعلم الصنعة، وإنما يشاهد "الأسطى"[٢٢] وينجز صنعته على وجه مقبول (يقابل الإسماع في حالتنا هذه)[٢٣].

وخلاصة هذا كله أن اكتساب اللغة يتم في الأساس بالتجربة ومحاولة الأداء الفعلي للكلام نطقاً، مع مداومة الاستماع إلى النماذج الصالحة التى ترشد وتساعد في تجويد هذه المحاولة. فمعرفة قواعد اللغة أو استيعابها منعزلة عن اللغة لاتفيد شيئاً، إذ أنى لها ذلك، وبينها وبين مادتها حجاب [٢٤].

وأريد أن أذكر شيئاً مهماً وهو أن الألفاظ والكلمات التى يتلقاها الفرد من المجتمع مباشرة تكون راسخة في الذهن، وخصوصاً العبارات التى يتبادلها الناس في التعامل اليومي مثل التحية والاعتذار والبيع والشراء، ثم إنك تأخذ المعنى المحدد للكلمة من أفواه المتكلمين، إضافة إلى الاستعمال المناسب حسب ما يقتضيه الموقف.

ويتحدث رشدى طعيمة عن أهمية المجتمع في اكتساب اللغة قائلاً : واكتساب اللغة يتم عادة في المجتمع الذى يتحدث هذه اللغة، حيث يتعرض الفرد لفرص متعددة وبشكل مستمر يتصل فيه بالناطقين بهذه اللغة يوماً بعد يوم، وبذلك يمتص تراكيبها ويستوعب مفاهيمها وينغمس في ثقافة هذا المجتمع، فيدرك بما لديه من حس لغوي دلالات كل كلمة، وتبين عنده السليقة اللغوية التى تيسر له استعمال اللغة بشكل تلقائي غير مقصود.

هذا في الوقت الذى يجرى فيه تعلم اللغة عادة بين جدران الفصول وفي بيئة غير تلك التى تتحدثها، ويتم هذا بالطبع بشكل مقصود وبطريقة منظمة تعتمد على مبدأ الانتقاء.

وهذا بالطبع لاينفى وجود حالات يتم فيها اكتساب اللغة في غير بيئتها إلا أنها حالات شاذة لا يقاس عليها. العبرة إذن هي بالموقف التعليمي الذى يمر به الفرد والمحيط الاجتماعي الذى يتصل به والاستخدام الفعلي للغة في مواقف حية [٢٥].

ولاشك في وجود عوامل مؤثرة في اكتساب اللغة ؛ وذلك لأن اختلاف البيئات الاجتماعية والاقتصادية تؤثر سلباً وإيجاباً في عملية اكتساب اللغة، وهذا ليس منحصراً عند الكبار فحسب بل حتى عند الأطفال، وأشار إلى ذلك عبد الحميد منصور قائلاً : من العوامل المؤثرة في اكتساب اللغة ونموها البيئة التى يعيش فيها الطفل. فتدل الدراسات العلمية المختلفة على أن أطفال البيئات الاجتماعية ذات

الاقتصاد الممتاز يتكلمون أسرع وأدق وأقوى من أطفال البيئة الاجتماعية الدنيا، وكلما تعددت خبرة الطفل واتسع نطاق بيئته ازداد نموه اللغوي.

ويتأثر هذا النمو بمدى اختلاط الطفل بالبالغين الراشدين، لاعتماد اكتساب اللغة ونموها على التقليد، ولغة الراشدين تعتبر أفضل النماذج اللغوية الصالحة لتعلم الطفل؛ فهي لهذا تساعده على اكتساب المهارة اللغوية [٢٦].

ومن المعلوم أن اكتساب اللغة عند الكبار لايختلف كثيراً عن الصغار؛ لذا يجب عند نشر اللغة العربية في المجتمعات المختلفة مراعاة الوضع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وكذلك ينبغى مراعاة حالة المجتمعات العربية التى يبعث إليها الطلاب لتعلم اللغة العربية، لأنهم سوف يكتسبون الكثير من اللغة العربية خارج قاعات الدراسة، وهذا ما أشرت إليه آنفاً بأن الدارس من غير العرب عندما يجد البيئة العربية المناسبة ينطلق لسانه ويكون فصيحاً بليغاً قد جمع بين تعلم اللغة العربية بالطريقة المنتظمة في قاعات الدراسة وبين اكتساب اللغة من المجتمع حوله.

وعملية اكتساب اللغة أشبه بالطريقة السمعية الشفوية التى ظهرت في خمسينات وستينات القرن الماضى وكان ظهورها لأمرين مهمين هما :

١ -قيام عدد من علماء النفس واللغويين بدراسة اللغات الهندية غير المكتوبة بالولايات المتحدة الأمريكية.

٢ -تطور وسائل الاتصال بين الشعوب مما قرب المسافات بين أفرادها، وأوجد الحاجة إلى تعلم اللغات الأجنبية وليس استخدامها في القراءة فقط وإنما أيضاً لاستخدامها في الاتصال المباشر بين الأفراد بعضهم وبعض.

ومن ملامح هذه الطريقة في تعليم اللغة العربية باعتبارها لغة ثانية يتمثل في الآتى :

أولاً – تنطلق هذه الطريقة من تصور للغة مؤداه أنها مجموعة من الرموز الصوتية التى يتعارف أفراد المجتع على دلالاتها بقصد تحقيق الاتصال بين بعضهم البعض، ومن هنا فإن الهدف الأساس في تعليم اللغة العربية هو تمكين غير الناطقين بالعربية من الاتصال الفعال بالناطقين بها، بما يتطلبه هذا الاتصال من مهارات مختلفة وبما يدور حوله من مواقف.

ثانياً – يتبع المعلم في تدريس المهارات اللغوية الترتيب الطبيعي لاكتساب الأفراد لها في لغتهم الأولى. فترتيب المهارات الأربع في هذه الطريقة يبدأ بالاستماع ثم الكلام وتأتى بعدهما القراءة وأخيراً الكتابة.

ثالثاً – تدريس الأنماط الثقافية العربية من خلال تدريس اللغة ذاتها، فتقدم الأنماط الثقافية من خلال الحوار الذى يقدم في كل درس، ومن الطبيعي أن يدور الحوار حول مواقف الحياة العادية التى يعيشها الناس مثل تناول الطعام، وأسلوب التحية، والسفر، و الزواج وغيرها من أنماط ثقافية مختلفة [٢٧].

وقد لقيت هذه الطريقة بعض الاعتراضات، ولكنها تقرب اللغة العربية للدارسين من غير العرب وهي أشبه باكتساب اللغة من المجتمع اللغوي مباشرة، ولاشك في أن اكتساب اللغة أسهل من تعلمها بواسطة القواعد والقوانين اللغوية، وبالاكتساب يستطيع الفرد الاتصال بالمجتمع.

خاتمة :

يتلخص هذا المقال في أهمية اللغة العربية و مكانتها بين الشعوب المسلمة باعتبارها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، كما يشير إلى مكانتها بين دول العالم الحديث، وما نالته من اهتمام في الأزمنة الآخيرة.

وكذلك يشير إلى مدى أهمية اتصال الشعوب المسلمة وما ينتج عن ذلك من فوائد قيمة للشعوب من تعاون واتحاد ورقى في كل

الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

كما أنه يشير إلى تسهيل تعلم اللغة العربية للشعوب من غير العرب وذلك بمحاولة اكتسابهم للغة العربية أولاً ثم تأتى بعد ذلك عملية التعليم المنظمة؛ وذلك لأجل أن تتم عملية التعليم بسهولة وتشويق بالنسبة للدارسين.

ومن أهم النتائج التى يمكن أن يشار إليها هي :

أولاً- اللغة العربية هي اللغة الأولى لكل مسلم.

ثانياً- اهتمام الشعوب المسلمة من غير العرب باللغة العربية.

ثالثاً- التواصل بين الشعوب يسهم في نشر اللغة العربية.

رابعاً- أصبحت اللغة العربية تجد مكانتها بين دول العالم أجمع.

خامساً- اكتساب اللغة العربية يتم بطريقة سهلة ولا شعورية

سادساً- استخدام الطرق التعليمية السهلة يساعد على توسيع رقعة تعليم اللغة العربية في البلاد غير العربية.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وينفع به المسلمين النفع العميم إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١ - الدرالمنثور في التفسير المأثور وهو مختصر (ترجمان القرآن) للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطي المتوفى 911هـ منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة الأولى 1421هـ - 2000م.

٢ - السجل العلمي للمؤتمر الدولي حول مناهج تعليم اللغة العربية لغير العرب – قسم اللغة العربية معهد السلطان الحاج عمر على سيف الدين للدراسات الإسلامية، جامعة بروناي دار السلام، أعده للنشر الأستاذ وان حبيب بن وان إبراهيم وأخرون 1428هـ - 2007م.

٣ - اللغة العربية في رحاب القرآن الكريم للدكتور عبد العال سالم مكرم أستاذ النحو بجامعة الكويت سابقاً، الطبعة الأولى 1415هـ - 1995م ، عالم الكتب.

٤ - تعليم العربية لغير الناطقين بها (مناهجه وأساليبه) تأليف الأستاذ الدكتور رشدي أحمد طعيمة عميد كلية التربية جامعة المنصورية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة –إيسيسكو- الرباط 1410هـ - 1989م.

٥ - علم اللغة الاجتماعي (مدخل) للدكتور كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع –القاهرة.

٦ - علم اللغة النفسي للدكتور عبد الحميد سيد أحمد منصور أستاذ مساعد – قسم علم النفس – كلية التربية جامعة الملك سعود – الرياض – الممكلة العربية السعودية.

٧ - علم اللغة (مدخل نظري في اللغة العربية) للدكتور محمود عكاشة، دارالنشر للجامعات، مصر- القاهرة، 1428هـ- 2007م

٨ - فن الكلام للدكتور كمال بشر، دارغريب للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة 2003م.

نظرات لغوية في القرآن الكريم للأستاذ الدكتور صالح بن حسين العايد الأمين العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، كنوز أشبيليا للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية- الرياض-

الهوامش

[١] سورة سبأ، آية 28.
[٢] سورة الأحزاب، آية 40.
[٣] سورة إبراهيم، آية 4.
[٤] سورة الأنبياء، آية 107.
[٥] سورة الجن، آية 1-2، وانظر في تفسير الآية الدر المنثور في تفسير المأثور 6/429-430.
[٦] نظرات لغوية في القرآن الكريم للدكتور صالح بن حسين العايد ، ص 41.
[٧] نقلا عن الرسالة ، ص41.
[٨] نقلا عن نصيحة الملوك للماوردي ، ص35.
[٩] نظرات لغوية في القرآن الكريم ، مرجع سابق، ص41-42.
[١٠] سورة إبراهيم، آية 4.
[١١] علم اللغة (مدخل نظري في اللغة العربية) للدكتور محمود عكاشة ، ص59.
[١٢] علم اللغة الاجتماعي (مدخل) للدكتور كمال بشر، ص272.
[١٣] تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها للدكتور رشدى أحمد طعيمة ص34 بتصرف.
[١٤] المرجع نفسه ، ص21.
[١٥] السجل العلمي للمؤتمر الدولي حول مناهج تعليم اللغة العربية لغير العرب ، ص72.
[١٦] سورة الحجرات، آية 10.
[١٧] اللغة العربية في رحاب القرآن الكريم للدكتور عبد العال سالم مكرم ، ص 153- 157 ، بتصرف.
[١٨] تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، مرجع سابق ، ص30.
[١٩] المرجع نفسه ، ص29 ، بتصرف.
[٢٠] يقصد بالصبي هنا الشاب الصغير الذي يأتى ليتعلم صنعة من الصناعات.
[٢١] الورشة هي المكان الذى تؤدى فيه الحرف الصناعية مثل النجارة و الحدادة والميكانيكا وغير ذلك.
[٢٢] الأسطى هوالخبير في الحرفة أو الصنعة.
[٢٣] فن الكلام للدكتور كمال بشر، ص10.
[٢٤] المرجع نفسه، ص66.
[٢٥] تعليم العربية لغير الناطقين بها، مرجع سابق ، ص30.
[٢٦] علم اللغة النفسي للدكتور عبد الحميد سيد أحمد منصور، ص149، بتصرف.
[٢٧] تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، مرجع سابق ، ص 133-134، بتصرف.